أمراء بني دلغادر وعلاقتهم بالدولة المملوكة

(٧٤٠-٩٢٢ هـ / ١٣٣٩ - ١٥١٦م)

دكتور / صبحي عبد المنعم محمد
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
المساعد بكلية دار العلوم - جامعة الفيوم

مدخل :

أدي انهيار سلطنة سلاجقة الروم إلى ظهور العديد من زعماء التركمان[1] فى أقاليم آسيا الصغرى الذين عملوا على إنشاء إمارات خاصة بهم ، ومن أبرز هذه الامارات التى استطاع التركمان إقامتها فى جنوب آسيا الصغري ، إمارة بني دلغادر ، وكان من المفروض أن تكون هذه الإمارة تابعة لسلطنة المماليك فى مصر والشام ، لكن أمراء هذه الإمارة لم يستمروا على ولائهم للمماليك ، وإنما عملوا على استغلال الظروف المناسبة للخروج على سلطنة المماليك ومهاجمة أراضيها ، بل والتجرأ على السلطان المملوكي أحياناً مما سبب لدولة المماليك كثيراً من المتاعب على حدودها الشمالية ، هذه الحدود التى اتبع فيها سلاطين المماليك سياسة عسكرية تقوم على أساس اعتبار منطقة الثغور الممتدة من طرسوس وحتى الفرات حزاماً

---

(١) التركمان شعب تركي منتشر فى بلاد التركستان والقوقاز ولقد اختلف الباحثون فى أصل هذا الشعب فلم يهتدو إليه سبيلا ، فمنهم من يري أن بلادهم كان يسكنها قديماً قوم يقال لهم الترغماس وحرفت هذه الكلمة إلى التركمان ويري بعضهم أن أصلهم صينيون ، بينما يري آخرون أن التركمان فرع أصلي للشعب التركي ، وهم من أبرز الشعوب التركية فى التاريخ السياسي إلى جانب العثمانيين الأتراك وقد استقرت أعداد كبيرة منهم فى آسيا الصغرى .
(أنظر : دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ١٧٥ ، محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين ج ٢ ص ٦٧١)

أمنياً وحاجة ملحة للحماية من الاعتداءات الخارجية مما شكل الهيكل العام للسياسة العسكرية الدفاعية لدولة سلاطين المماليك .

ومن هنا يمكن تفسير مدي اهتمام السياسة العسكرية المملوكية بإمارة بني دلغادر باعتبارها أحد خطوط الدفاع الداخلية ضد أعدائها ، لذا أوكل المماليك إلى بني دلغادر الذين تمركزوا حول ألبستان مهمة حماية درب الحدث على طول ثغور الجزيرة [١] ، ولم يكن أمراء بني دلغار سوي نواب وولاة لسلاطين المماليك والحقيقة أن بني دلغار قد ربطتهم بسلطنة المماليك علاقات متقلبة بين الخضوع والتبعية حيناً والثورة والعدوان أحيانا مما جعل هذه المنطقة تعاني الكثير من الاضطرابات والصراعات فى الوقت الذى كانت فيه مناطق الأناضول الجنوبية الشرقية والمناطق المتاخمة للشام شمالاً خاضعة لنفوذ المماليك فى كثير من الأحيان

---

(١) اعتمدت الدولة المملوكية النظام الإسلامي القديم الذى عرف بالعواصم والثغور وأجرت عليه بعض التعديلات ، ولقد عرفت العواصم بأنها الحصون المنيعة التى كان المسلمون يعتصمون بها فتعصمهم من العدو ، وكانت تحيط بالمنطقة الواقعة بين حلب وأنطاكية ومركزها الإداري أنطاكية أو منبج ويدخل عليها التعديل بحسب التراتيب الإدارية ، أما الثغور فهي الحصون التى بنيت على تخوم الشام والجزيرة لصد غزوات الروم لذلك سميت بالثغور الرومية ، وتبدأ هذه المنطقة من طرسوس وتمتد على جبال طوروس إلى ملطية ثم إلى الفرات ، وهى بمثابة الحزام الأمني الذى يحمي منطقة العواصم التى على الحدود من غارات الأعداء ، وكانت منطقة الثغور تنقسم إلى قسمين : الثغور الشامية وتمتد بموازاة جبال طوروس وتشمل : سيس ، الهارونية ، المصيصة ، أذنه ، طرسوس ، إياس وهى تؤمن الحماية لمرافئ بلاد الشام ، وثغور الجزيرة وتمتد بموازاة انتي طوروس وتشمل ملطيه ، الحدث ، مرعش ، وتضم من جهة الشرق البيرة ، وجعبر والرها ، ومن خلال هذا التقسيم يتبين أن الحصون الحدودية التى حمت درب الحدث قد شكلت ثغور الجزيرة ، أما الحصون التى حمت درب طوسوس وممرات بلاد الشام قد شكلت الثغور الشامية (القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ١٤٢-١٤٤ ، ياقوت معجم البلدان ج ٣ ص ١٠٦،١٠٧ ، القرماني : أخبار الدول ج ٣ ص ٣٢٤ دائرة المعارف الإسلامية ج ٦ ص ٢٠٣ ، غيثاء أحمد نافع : العلاقات العثمانية المملوكية ص ٣٢) .

وكانوا يولونها أهمية خاصة لأنها تؤمن سلامة الأراضي الواقعة شمال الشام ، وعليها يعتمد المماليك فى شئون الأمن والدفاع عن الأطراف الشمالية لسلطنتهم ، ولذا كان المماليك يسعون إلى تعيين أمراء وحكام موالين لهم هناك ، وكانوا يتصدون لثورات أمراء التركمان بالقوة حتى يعودوا خاضعين للنفوذ المملوكي .

وهذا ما سوف يتناوله البحث من خلال علاقات إمارة بني دلغار بسلاطين المماليك فى مصر والشام .

قيام إمارة بني دلغادر :

وصل أبناء دلغادر إلى الأناضول مع هروب التركمان من وجه الهجوم الوحشي المغولي فى أيام جنكيزخان[١] وكان يرأس هذه العشيرة أمير يقال له "دلغادر" [٢] ، استقربهم فى نواحي البستان [٣] ،

---

(١) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ج ٨ ص ٥٥ .

(٢) يختلف ورود هذا الاسم بين الكتب العربية والكتب الأجنبية حيث جاء بصور مختلفة هي : دلغادر – ذولغادر – ذلقادر – دلقدر – ذو القدر – ذا القادر ويرجع السبب فى هذا الاختلاف إلى الكتب الأجنبية التى تستعمل الأحرف اللاتينية إذ لا وجود لحرف الغين فيها فحولت الغين إلى قاف كما ترجمت ذو بمعني صاحب ومن هنا جاء هذا الاختلاف ، ويري البحث أن الصيغة الصحيحة هى " دلغادر" كما وردت عند المؤرخين العرب الذين شهدوا ولادة هذه الإمارة مثل ابن الوردي وابن تغري بردي وابن حجر العسقلاني (أنظر : تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٤٨٥ النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٢١١ ، إنباء الغمر ج ٨ ص ٣٤٣ ، خليل أدهم تاريخ الدول الاسلامية ج٢ ص٤٢٩ ، محمد أحمد دهمان : العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك ص ٢٣) .

(٣) البستان وأبلستين مدينة مشهورة ببلاد الروم تقع شرق قيسارية وهى من مدن الثغور أيام الروم وتقع حالياً جنوب تركيا (دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٧١٠ ، صفى الدين عبد المؤمن : مراصد الإطلاع ج ١ ص ١٨ ، كي ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٧٩ .

ومرعش [١] ويري المؤرخ القرماني أنهم يزعمون أن نسبهم ينتهي إلى كسري أنوشروان ملك فارس[٢]

إلا أن المؤرخ التركي خليل أدهم ينكر ذلك ويري أنه لا يمكن التسليم بصحة هذا الادعاء رغم أنهم كانوا يذكرون جدهم في النقوش بإسم "دلغادر الساساني" ويذكرونه فى الخطبة على المنابر بهذا الاسم [٣].

ويري الباحث أن هذه الطائفة تعود فى أصولها إلى طائفة التركمان لأن المؤرخ ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ /١٣٤٨م) وكان معاصراً لهم قد وصفهم بذلك وأشار إلى أنهم من التركمان[٤]

وبعد أن استطوطنوا نواحي البستان ومرعش كثروا واستفحل أمرهم حتى ملكوا المنطقتين وضموا إليهما ملطية وعينتاب وعزاز وخربوت وبهسني ودارنده وقير شهري وقيسارية وحصن منصور وبلاد سيس وقارص وضمانتي [٥] أى أن هذه الإمارة قامت على معظم البلدان التى كانت تقومْ عليها أرمينية الصغرى [٦] وقد حكمت أسرة دلغادر هذه المنطقة وما حولها قرابة مائة وأربعة وثمانين عاماً

---

(١) القرماني : إخبار الدول ج ٣ ص ٩٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) خليل أدهم الدم : تاريخ الدول الإسلامية ج ٢، ص ٤٢٩ .

(٤) ابن الوردي :تاريخ ابن الوردي ج ٢، ص ٤٨٥ .

(٥) القرماني : اخبار الدول ج ٣ ص ١٠٠

(٦) قامت مملكة أرمينية الصغرى فى إقليم قيليقيه بين جبال طوروس والبحر وامتدت حتى حدود إمارة أنطاكية وضمت مدن المصيصة وأذنه وطرسوس ومعظم مدن الساحل إلى غرب طرسوس واتخذت سيس عاصمة لهذه الإمارة وكان لها دور فى الحركة الصليبية بحكم موقعها الجغرافي بين القوي الإسلامية والمسيحية فى الشام والعراق وآسيا الصغري وقد سقطت هذه المملكة على يد سلاطين المماليك سنة ٧٧٧هـ ، ١٣٧٥م (د . جمال سرور : دولة بني قلاوون ص ٢٣١ ، خاشع المعاضيدي تاريخ الوطن العربي ص ٢٧٩)

أى من سنة ٧٤٠هـ /١٣٣٩ م إلى سنة ٩٢٢ /١٥١٦م ثم دخل أمراؤها تحت النفوذ العثماني إلى سنة ٩٢٨هـ /١٥٢٢م وكانت هذه المنطقة من مناطق الحدود بين الدولتين المملوكية والعثمانية [١] .

زين الدين قراجا وتأرجح سياسته بين الولاء والعداء للمماليك :

أول من أقام حكومة من أسرة دلغادر "زين الدين قراجا بن دلغادر" حيث يعد المؤسس الحقيقي لهذه الإمارة [٢] فقد تمكن من تقوية نفسه فى منطقة ألبستان ثم أعلن استقلاله بإمارته سنة ٧٤٠هـ /١٣٣٩م [٣] وقد بدأت العلاقات بين بني دلغادر والمماليك منذ وقت مبكر فقد استطاع زين قراجا المؤسس الأول لأمارة بني دلغادر اكتساب ثقة السلطان المملوكي حيث أعلن تبعيته للدولة المملوكية التى اعترفت به كنائب على ألبستان من قبلها وبخاصة بعد أن نجح فى إخضاع حاكم آسيا الصغرى المغولي للسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون [٤] وتمكن من السيطرة على قلعة درنده [٥] وأقام بها الدعوة للسلطان المملوكي الذى أخذها منه وأنعم بها على الأمير تنكز نائب الشام [٦] ويبدوا أن هذا العمل قد أغضب الأمير

---

(١) محمد أحمد دهمان : العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك ص ٢٥ .

(٢) د . أحمد فؤاد متولي : الفتح العثماني للشام ومصر ص ٦٤ .

(٣) خليل أدهم ألدم : تاريخ الدول الإسلامية ج ٢ ص ٤٣٠ .

(٤) د . محمد سهيل طقوش : تاريخ المماليك فى مصر وبلاد الشام ص ٢٧٧ دار النفائس ط أ سنة ١٩٧٧م

(٥) نزل المسلمون درنده بعد أن فتحها عبد الله بن عبد الملك سنة ٨٣هـ /٧٠٢م وبنوا بها مساكن وهى من ملطية على ثلاثة مراحل وداخله فى بلاد الروم (ياقوت :معجم البلدان ج ٤ ص٣٢)

(٦) المقريزي : السلوك ج ٣ ص ٢٨١ تحقيق محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية بيروت : ط أ ١٤١٨ هـ /١٩٩٧م .

زين الدين قراجا بن دلغادر الذى أعلن خروجه عن طاعة السلطان المملوكي وورد الخبر بخروجه سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م [١] .

وفى العام التالي أرسل الأمير طشتمر حمص أخضر الساقي نائب حلب [٢] رسالة إلى السلطان المملوكي يخبره فيها بخروج الأمير زين الدين قراجا بن دلغادر عن الطاعة وأنه جمع جموعاً كثيرة من التركمان ويعد العدة للهجوم على حلب ويطب نجدة عسكرية من مصر [٣] فأمر السلطان المملوكي نائب الشام الأمير الطنبغا الصالحي بالمسير بالجند المملوكي لنجدته حيث التقوا بالأمير قراجا وأعوانه ودار قتال بين الطرفين ، ولم يتمكن المماليك من هزيمة الأمير قراجا الذى عاد إلى الأبلستين وقد قوى أمره [٤] .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٩٦ .

(٢) كانت نيابة حلب تتمتع بأهمية خاصة فى عصر المماليك نظراً لخطورة موقعها على الأطراف الشمالية لدولة المماليك مما جعلها محوراً لكثير من أحداث العلاقات المضطربة بين المماليك من ناحية والتركمان من ناحية أخري لذلك اشتملت نيابة حلب على عدد كبير من النيابات الصغرى ليس له مثيل فى بقية نيابات الشام ومن هذه النيابات الصغرى التابعة لنيابة حلب نيابة قلعة الروم ونيابات الكختا وكركر وبهنسي وسميساط وعينتاب ودربساك والراوندان وبغراس والقصير والشغر وبكاس بالإضافة إلى عدد آخر من النيابات الصغري التى كانت تقع خارج حدود الشام ولكنها تتبع نيابة حلب بحكم ملكية دولة المماليك لها ومعظم هذه النيابات الصغرى الأخرى كانت داخل بلاد الأرمن مثل ملطية وديركي ودرنده والابلستين وإياس وطرسوس وآذنه (أنظر : القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢٦ – ٢٢٧ د / سعيد عاشور : مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك ص ٣٢٥ دار النهضة العربية – بيروت – لبنان – د . ت)

(٣) المقريزى : السلوك ج ٣ ص ٣٣٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٤٧ .

وفى هذا العام تولي السلطنة بمصر السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون ، ولعل الأمير قراجا بن دلغادر أراد التقرب إلى السلطان المملوكي الجديد فأتي إليه مهنئاً فى ذي القعدة سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١ م ويذكر المقريزي أن السلطان أنعم عليه بانعامات كثيرة وكتب له بالإمرية على التركمان فى نيابة الأبلستين [١] إلا أن العلاقات بين الأمير قراجا والمماليك لم تسر سيرها الطبيعي وبخاصة فى العام التالي عقب تولي أمور السلطنة للسلطان عماد الدين إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون حيث ورد الخبر بخروج قراجا بن دلغادر عن طاعة السلطان المملوكي الجديد مما دفع الأمير يلبغا اليحياوى نائب حلب إلى التحرك بعسكره سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م لقتال ابن دلغادر والتقي به عند جبل الولدل إلى جانب جيحان ففر ابن دلغادر إلى الجبل حيث أعتصم به وأتخذ منه موقعاً حصيناً للتصدي للقوات المملوكية التى أنهبت أثقاله وأخذت بعض حريمه وصعدوا إليه فقاتلهم هو ومن معه ، وتمكن من التغلب على الجند المملوكي بقيادة يلبغا اليحياوى ، وقد وصف أبو الفداء فى تاريخه ما حدث فى هذه المعركة بقوله:"... وقتل فى العسكر واسر وجرح وما نالوا منه طائلاً فكبر قدره بذلك ، وأشتهر اسمه وعظم على الناس شره ، وكانت هذه حركة رديئة من يلبغا "[٢] .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٦٤ .

(٢) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ج ٤ ص ١٦٣ تقديم د.حسين مؤنس تحقيق محمد زينهم محمد عزب – يحي سيد حسين – ذخائر العرب (٦٩) .

عودة الولاء الدلغادرى للسلطان المملوكي :

ما أن علم السلطان المملوكي بما حدث من نائب حلب حتى بادر بالكتابة إليه منكراً ما حدث منه ومعنفاً له على فعله هذا [١] .

ويبدو أن السلطان أراد إصلاح ما بين الدولة المملوكية وإمارة بني دلغادر فأرسل فى العام التالي سنة ٧٤٥هـ /١٣٤٤م اماناً إلى الأمير زين الدين قراجا بن دلغادر وأفرج عن حريمه اللائي كن فى حلب وأرسلهن إليه وأقره فى إمارة الابلستين [٢] .

وقد بادر قراجا بن دلغادر بإعلان طاعته للسلطان المملوكي مع كتاب منه بصحبة أخيه وابن عمه يجدد فيه الولاء والطاعة فأنعم عليه السلطان ببعض الأراضي القريبة منه والتى كانت تتبع نيابة حلب [٣] فأرسل الأمير قراجا ابنه خليل بتقدمته وكتابه يشكر السلطان على ما أنعم به عليه فخلع السلطان على رسله وجهز له تشريف [٤] .

ويذكر المقريزي أن عودة ابن دلغادر إلى طاعة السلطان المملوكي قد تم بحسن سياسة الأمير أرقطاى نائب حلب الجديد الذى تولي بدلاً من يلبغا اليحياوى[٥]

---

(١) المقريزي : السلوك ج ٣ ص ٤٠٧ حوادث سنة٧٤٤هـ .
(٢) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ج ٤ ص ١٦٣ .
(٣) المقريزي : السلوك ج ٣ ص ٤١٨ .
(٤) المصدر السابق ج ٤ ص ١٥ حوادث ٧٤٦هـ .
(٥) المصدر السابق .

الذى كان ينقم على ابن دلغادر [١] وفى أواخر سنة ٧٤٦هـ /١٣٤٥م تمكن قراجا بن دلغادر من الاستيلاء على قلعة كابان وربضها وكانت من أمنع قلاع سيس [٢] مما يلي بلاد الروم واسر عدداً كبيراً من الأرمن [٣] هو وجنده وسبوا نساءها وأطفالها [٤] وأرسل رسولاً من قبله بهديه وكتاب فى سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م إلى السلطان المملوكي يذكر فيه أنه أخذ هذه القلعة التى كانت بيد الأرمن وأحتوى على ما فيها وقتل أهلها فأنعم السلطان عليه بها [٥] وخلع على رسوله وجهزت لابن دلغادر خلعة مع صاحب البريد فأخذها نائب الشام ومنع من حملها إليه ويذكر

---

(١) كان يلبغا اليحياوى يكره ابن دلغادر كراهية شديدة وحاول الوقيعة بين ابن دلغادر وأحد أمرائه ويدعى "طرفوش" أقامه الأمير يلبغا ضداً لأبن دلغادر وأغر به ووعد بإمرته على التركمان مما جعله يدخل فى صراع مع ابن دلغادر واقتتل الاثنان وأنتصر ابن دلغادر بعد عدة معارك قتل فيها من الفريقين عدد كبير فلما قدم الأمير أرقطاي إلى حلب تلطف بابن دلغادر حتى أعاده إلى الطاعة وما زال يبذل جهده حتى أصلح بينه وبين غريمة طرفوش (المصدر السابق)

(٢) كانت سيس تعد من أكبر حصون الأرمن وتقع شمال شرق أدنه على هضبة تجاه جبال طوروس وهى بلدة كبيرة لها قلعة حصينة عليها ثلاثة أسوار وفيها قلاع صغيرة عليها أبراج مراقبة محاطة بخنادق واسعة ، ولقد قاومت هذه المدينة حصار المماليك لها حوالي شهرين قبل أن يتمكن الجيش المملوكي من دخولها وفتحها وكانت قبلهم عاصمة الأرمن الذين يناصرون الصليبيين إلى أن سقطت على أيدي المماليك الذين جعلوها نيابة مستقلة ثم انتقلت منهم إلى سلطة الإمارة الدلغادرية (القلقشندي : صبح الأعشي ج ٧ ص ١٩٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ج ١٢ ص ٤٦٧ ، محمد أحمد دهمان : العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك ص٢٢- غيثاء أحمد نافع : العلاقات العثمانية المملوكية ص ٣٥)

(٣) تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٤٩٠ .

(٤) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ج ٤ ص١٦٧ .

(٥) المقريزى : السلوك ج ٤ ص ٢٧ .

المقريزى السبب فى ذلك بقوله : "إنه كان يكرهه ويريد إقامة غيره والقبض عليه"[١] .

والحقيقة أن السبب فى سوء العلاقات بين الإمارة الدلغادرية والسلطنة المملوكية آنذاك هو سياسة نواب الشام وحلب الذين كانوا كثيرا ما يدخلون فى نزاع وخلاف مع أمير بني دلغادر ومما يدل على ذلك أن ابن دلغادر بعد أن أعلن طاعته لسلاطين المماليك وفتحه لقلعة كابان من قلاع الأرمن وجدنا أن السلطان المملوكي أنعم عليه بها ، لكن نائب حلب حاول أن يستنيب فيها شخصاً آخر من جهة السلطان [٢] .

ويبدو أن السلطان المملوكي رفض أن ينيب عليها شخصاً آخر وأنعم على ابن دلغادر بها [٣] .

ولعل هذا العمل قد أغضب كل من نائب الشام ونائب حلب فأخذ نائب الشام خلعة السلطان إلى ابن دلغادر ومنع من إرسالها إليهْ مما دفع ابن دلغادر إلى الخروج عن طاعة السلطان المملوكي وهو الذى كان تابعاً لسلطنة المماليك ويساهم فى تأمين الحماية العسكرية للمنطقة الحدودية لدولة المماليك .

قراجا بن دلغادر يعلن عصيانه ويتحالف مع الثائرين على السلطان :

أعلن قراجا بن دلغادر عصيانه وخروجه عن طاعة السلطان المملوكي وبلغت جرأته حداً كبيراً حيث لقب نفسه بالملك القاهر وقد أشار أبو الفداء إلى ما فعله ابن دلغادر بقوله : " قراجا بن دلغادر التركماني وجمائعه قد شغبوا واستطالوا

---

(١) المصدر السابق ص ٤١ .

(٢) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ج ٤ ص ١٦٧ .

(٣) المقريزي : السلوك ج ٤ ص ٢٧ .

ونهبوا وتسمي بالملك القاهر وأبان عن فجور وحمق ظاهر واغتر وطلب من صاحب سيس الحمل الذى كان يحمل إلى السلطان [١] .

ولم تكن الدولة المملوكية لتقف عاجزة إزاء ما فعله زين الدين قراجا لولا أن حدث ما لم يكن متوقعاً من نائب حلب الأمير بيبغاروس [٢] الذى أعلن عصيانه وخروجه عن طاعة السلطان المملوكي بمؤازرة الأمير أحمد الساقي نائب حماه والأمير بكلمش نائب طرابلس ، وقد تسلطن بيبغا روس سنة ٧٥٣هـ / ١٣٥٢ م فى حلب ولقب نفسه بالملك العادل [٣] ووجد مؤازرة من قراجا بن دلغادر الذى قدم إلى حلب فى جمع كبير من التركمان يعلن تأييده لبيبغاروس الذى خرج للقائه مع نائب حماه ونائب طرابلس وتقابلوا معه عند الدستن [٤] .

ولقد بدأ نوع من التآزر والتعاون بين قراجا بن دلغادر والأمير بيبغاروس الخارج عن طاعة السلطان المملوكي ، وشرع السلطان المملوكي يعد العدة للقضاء على حركة الأمير بيبغاروس فأرسل جيشاً التقي بالأمير بيبغا وأنصاره فهزم بيبغا وفر هارباً إلى الأمير قراجا بن دلغادر الذى تلقاه ، وقام له بما يليق به فأرسل إليه أمراء المماليك الذين هزموا بيبغاروس يطلبون منه القبض على بيبغاروس وإرساله

---

(١)أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ج ٤ ص ١٧٤ .

(٢) الأمير بيبغاروس القاسمي هو أحد المماليك الناصرية وقد توفي السلطان الناصر محمد بن قلاوون وهو من خاصكيته وترقي فى زمن السلطان عماد الدين إسماعيل (٧٤٣- ٧٤٦هـ/ ١٣٤٢-١٣٤٥م) أمير طبلخاناه ثم ترقي فى زمن الكامل سيف الدين شعبان الأول (٧٤٦هـ/١٣٤٥م) حيث أنعم عليه بتقدمة ألف ثم ولي زمن الناصر ناصر الدين حسن (٧٤٨-٧٥٢هـ / ١٣٤٧- ١٣٥١م) نيابة السلطنة ثم غضب السلطان عليه فسجنه ثم أفرج عنه وولي نيابة حلب وكان من عصيانه ما كان (أنظر : المقريزي : السلوك ج ٤ ص ١٨٨) .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٦ .

(٤) الدستن : بلدة قديمة بين حمص وحماه على نهر العاص (أنظر : ياقوت معجم البلدان ج ٢ ص ٢١٠) .

إلى حلب فرفض ابن دلغادر تنفيذ أوامر أمراء المماليك وأخبرهم أنه ينتظر في القبض عليه مرسوم السلطان به وإرسال الأمان له [١] .

ويبدو أن السلطان المملوكي قد أرسل مرسوماً من قبله إلى ابن دلغادر بالقبض على بيبغاروس وإرساله إلى حلب إذ يذكر ابن كثير في حوادث سنة ٧٥٤هـ أن ابن دلغادر قد احتال على بيبغاروس وأعوانه وسلمهم إلى قبضة نائب حلب سيف الدين أرغون الكاملي ، وأنه فعل ذلك خوفاً من صاحب مصر [٢] .

بعد أن تم القضاء على حركة بيبغاروس بدأ السلطان المملوكي يفكر في القضاء على الأمير قراجا بن دلغادر الذى كان كثيراً ما يتمرد ويخرج عن طاعة المماليك ، فأرسل إلى نائب حلب الأمير أرغون الكاملي [٣] يطلب منه أن يعمل الحيلة فى أحضار قراجا بن دلغادر وجهز إليه تشريف برسمه وتقليده تقدمة التركمان فأرسل إليه الأمير أرغون يطلب منه الحضور ليلبس التشريف السلطاني ويقرأ عليه التقليد بحضرة أمراء حلب ، ويبدوا أن الأمير قراجا كان يدرك مغزي ذلك فاعتذر عن الحضور [٤] .

فأرسل السلطان المملوكي إلى الأمير أرغون الكاملي نائب حلب كتاباً يأمره فيه بالركوب إلى ابن دلغادر ومحاربته فاعتذر الأمير أرغون بأنه قد حلف له قبل

---

(١) المقريزي : السلوك ج ٤ ص ١٦٤ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية فى التاريخ ج ١٤ ص ٢٤٧ دار الفكر العربي (د . ت)

(٣) الأمير أرغون الكاملى من مماليك الكامل شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وترقي فى الخدمة حتى صار من أمراء الألوف وولى نيابة حلب ونيابة دمشق ثم قبض عليه وسجن ونفي إلى القدس حيث مات بها سنة ٧٥٨هـ /١٣٥٧م (المقريزي : السلوك ج ٤ ص ٢٣٣)

(٤) المصدر السابق ص ١٧٨ .

ذلك بأنه إن سير إليه بيبغاروس لا يحاربه [١] فأصر السلطان المملوكي على محاربة ابن دلغادر وجهز إليه الأمير عز الدين طقطاى الدوادار ومعه الكتب إلى نواب الشام لمشاركة الأمير أرغون الكاملي فى قتال ابن دلغادر[٢] .

وبدأ أرغون الكاملي يعد عودته لقتال ابن دلغادر بعد أن انصاع لأوامر السلطان المملوكي الذى أمر نواب القلاع بأن يتحركوا مع أرغون الذى وصل عدد جنده إلى عشرة آلاف فارس سوى الرجالة والتركمان المعارضين لابن دلغادر ونزل الأمير أرغون على الأبلستين فنهبها وهدمها وتوجه إلى قراجا بن دلغادر وقد امتنع بجبل عال فقاتلوه لمدة عشرين يوماً وجرح عدد كبير من الفريقين [٣] فلما طال الأمر نزل إليهم قراجا وقاتلهم صدراً من النهار قتالاً شديداً وكثر القتل فى أعوانه وأنصاره حتى انهزم وولى هارباً ونهب الجند أمواله وحواصله وأسروا خلقا من بنيه وذويه وحريمه وأخذ الجيش كثيراً من الأغنام والأبقار والرقيق والدواب والأمتعة [٤] .

محاكمة قراجا بن دلغادر وإعدامه :

استمر الجند المملوكي فى مطاردة قراجا بن دلغادر الذى فر إلى أطراف بلاد الروم ، فلا زال نائب حلب يتبعه حتى قبض عليه وقيده [٥] ، وحمل إلى حلب فدخلها وسجن بقلعتها حتى جاء كتاب من السلطان المملوكي يأمر نائب حلب بحمله إلى مصر [٦] وفى الخامس عشر من شهر رمضان سنة ٧٥٤هـ / الرابع عشر

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق ص ١٨٠ .
(٣) المقريزي : السلوك ج ٤ ص ١٨١ .
(٤) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٥٥٢ .
(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ، ص ٢٤٨ .
(٦) المقريزي : السلوك ج ٤ ص ١٨١ .

من أكتوبر سنة ١٣٥٣م وصل قراجا بن دلغادر إلى مصر وهو مقيد فى زنجير من الحديد وأقيم بين يدي السلطان المملوكي حيث عددت ذنوبه [١] ووبخه السلطان على ما فعل ثم أمر بتسميره وطافوا به فى القاهرة وهو مسمر على جمل [٢] ثم أخرج إلى السجن وأستمر مسجوناً به قرابة شهرين إلى أن أصدر السلطان أمراً بإعدامه فأخرج من السجن ووضع تحت القلعة حيث قام النائب قبلاي بتوسيطه بالسيف قتلاً[٣] فى الرابع عشر من ذي القعدة سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م [٤] .

وهكذا استطاع المماليك التخلص من زين الدين قراجا بن دلغادر مؤسس إمارة بني دلغادر بعد أن سبب الكثير من المتاعب للدولة المملوكية وتم إعدامه فى القاهرة ليكون عبرة لغيره من حكام الإمارات التركمانية إذا ما فكر أحدهم فى الخروج عن طاعة السلطان المملوكي .

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٥٥٢

(٢) المصدر السابق .

(٣) المقريزى : السلوك ج ٤ ص ١٨٣ .

(٤) اختلف الباحثون المحدثون فى تاريخ وفاة قراجا بن دلغادر فيذكر المستشرق زامبارو والمؤرخ التركي خليل أدهم ألدم أنه توفي سنة ٧٨٠هـ ولا يأتيان بما يؤيد صحة رأيهما بينما يري د . أحمد فؤاد متولي أنه توفي سنة ٧٤٥هـ والحقيقة أنه قتل فى القاهرة سنة ٧٥٤ كما ذكر كل من المقريزي وابن حجر العسقلاني وابن تغري بردي (أنظر : السلوك ج ٤ ص ١٨٣ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ج٣ ص ٣٢٩ ، النجوم الزاهرة ج١٠ ص٢٩٤ ، زامباور : معجم الإنساب ص٢٣٥ ، خليل أدهم ألدم : تاريخ الدول الإسلامية ج٢ ص٤٣٠ ، د .أحمد فؤاد متولي : الفتح العثماني للشام ومصر ص٦٤)

تطور الأمور في الإمارة الدلغارية عقب مقتل قراجا :

بعد مقتل قراجا بن دلغادر استقر مكانه ابن رمضان التركماني[١] حيث رسم له السلطان المملوكي بالإمرة على التركمان سنة ٧٥٥هـ /١٣٥٤م والسيطرة على بني دلغادر وأنعم عليه بالاقطاع وعلى مجموعة من أصحابه ما بين إمرات عشرات وطبلخاناه[٢] .

ولعل أبناء قراجا قد شعروا بضعف نفوذهم أمام الدولة المملوكية فقدموا في العام التالي سنة ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م بهدايا كثيرة للسلطان المملوكي وأبدوا اعتذارهم عما حدث من أبيهم فأعيد كبيرهم خليل بن قراجا إلى الإمرة[٣] واستمرت العلاقات بين الطرفين طيبة وودية أكثر من عشرين عاماً إلى أن قام السلطان المملوكي بتعيين الأمير مبارك الطازي نائباً على الأبلستين وطلب منه مقاتلة خليل بن دلغادر أمير التركمان ولم تذكر المصادر التاريخية المتاحة السبب في هذا التغير المفاجئ في سياسة المماليك تجاه بني دلغادر وإنما تذكر المصادر أنه في

---

(١) بنو رمضان عشيرة تركمانية وفدت مع الأتراك العثمانية في العهد السلجوقي واستقرت في منطقة أذنه بعد أن أحتلها المماليك سنة ٧٦١هـ /١٣٦٠م وجعلوها نيابة تابعة لهم وقد اعترف شهاب الدين أحمد بن رمضان بسلطان المماليك بعد أن أسس إمارته التي كانت تشمل أذنه وسيس وإياس والمصيصة وبياس وبعض نواحي وارساق وطرسوس التي استولي عليها سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م ثم توفي في العام التالي ووقع الخلاف بين أبنائه وانتهي بتولي ابنه إبراهيم الحكم من بعده في العام نفسه واستمر في حكم هذه الأمارة حتى ٨٣١هـ /١٤٢٨م حيث قتل على يد المماليك في مصر وقد سقطت هذه الإمارة على يد العثمانيين ١٠١٧هـ /١٦٠٨م (القلقشندي : صبح الأعشي ج٧ ص ١٨٩ ، ابن شاهين الظاهري : نيل الأمل في ذيل الدول ج١ ص٢٦٦ ، ج٥ ص١٠٥، القرماني : إخبار الدول ج٣ ص١٠٥ ، زامبارو : معجم الأنساب ص ٢٣٤)

(٢) المقريزي : السلوك ج٤ ص ١٨٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٢١ .

سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م التقي أمير التركمان خليل بن دلغادر بالأمير مبارك شاه الطازي الذى عين من قبل السلطان المملوكي نائباً على الأبلستين وتقاتلاً فمال عليه ابن دلغادر وضرب عنقه بالسيف وتغلب على من معه [١] .

وتمادي خليل بن دلغادر فى عدائه للمماليك مما اضطر السلطان المملوكي الصالح صلاح الدين حاجي الثاني (٧٨٣- ٧٨٤هـ / ١٣٨١-١٣٨٢م) إلى إرسال حملة عسكرية فى سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م اشترك فيها الأمير أشقتمر نائب الشام بعسكر دمشق والأمير إينال اليوسفي بعسكر حلب والأمير كمشبغا الحموي بعسكر طرابلس والأمير طشتمر القاسي بعسكر حماه والأمير طشتمر العلائي بعسكر صفد بالإضافة إلى نواب القلاع وتركمان الطاعة والعربان [٢] .

واتجهت الحملة العسكرية المملوكية من حلب إلى مرعش ومنها إلى ألبستان ثم ملطية ، والتركمان يفرون منهم ويتحصنون بالجبال فلما تركهم العسكر وعادوا انقض عليهم التركمان أثناء عودتهم وقتلوا منهم ونهبوا [٣] فعاد إليهم الجند المملوكي وقتلوا عدداً منهم ودخلوا إلى الأبلستين بعد أن عين السلطان المملوكي الأمير علاء الدين ألطنبغا السلطاني نائباً على الأبلستين وأمره بمطاردة بني دلغادر والقضاء عليهم [٤] .

عصيان الأمير علاء الدين نائب الأبلستين وأثره على بني دلغادر:

حينما نجح السلطان برقوق فى القضاء على سلطنة الترك وأقام دعائم الدولة المملوكية البرجية سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢ ثار عليه الأمير علاء الدين ألطنبغا

---

(١) القرماني : اخبار الدول ج٣ ص١٠٠ .
(٢) المقريزي : السلوك ج٥ ص ١٢٠ .
(٣)القرماني : إخبار الدول ج٣ ص ١٠٠ .
(٤) المقريزي : السلوك ج٥ ص ١٣٧ .

التركي السلطاني نائب الأبلستين [١] ولم يحلف له ، بل استولي على قلعة درندة التابعة له وألقي القبض على بعض أمرائها ، ولما لم يجد مناصرة ومؤازرة من نواب الشام الذين لم يؤيدوه فى ثورته وعلى رأسهم الأمير يلبغا الناصري الذى كتب إليه يهدده ويطلب منه العودة إلى الطاعة لكنه أبي وفر هاربا إلى بلاد التتر [٢] .

وانتهز بنو دلغادر الاضطرابات التى حدثت آنذاك نتيجة عصيان الأمير علاء ألطنبغا فقرر خليل بن دلغادر مهاجمة القوات المملوكية فى بلاد درنده ودوركي [٣] ومرعش والأبلستين حيث نهب وعاث فساداً هو وأعوانه وأنصاره ولما علموا بقدوم الأمير يلبغا الناصري نائب حلب فروا من أمامه [٤] وإزاء هذه التطورات قرر السلطان المملوكي تعيين الأمير تمر باي الحسني نائباً على الأبلستين فى سنة ٧٨٦هـ /١٣٨٤م [٥] .

ويبدو أن أمراء بني دلغادر أرادوا خداع السلطان المملوكي فأرسلوا سولي بني دلغادر كي يحلف بالطاعة للأمير يلبغا الناصري أمير حلب ومكث أياماً فى حلب ينتظر كتاب السلطان بتعيينه [٦] لكنه فوجئ بمرسوم السلطان يطلب إلقاء القبض عليه فأمر أمير حلب بسجنه فى القلعة حتى أتي أمر السلطان المملوكي

---

(١) المصدر السابق .

(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١١ ص٢٢٩ .

(٣) دروكي : بضم الدال المهملة وسكون الواو وكسر الراء والكاف بعد هاء النسب من بلاد الروم وهو من مضافات حلب (ياقوت : معجم البلدان ج٥ ص٢٠)

(٤) المقريزي : السلوك ج٥ ص١٦٦ .

(٥) المقريزي : السلوك ج٥ ص١٦٨ .

(٦) المصدر السابق ص ١٧٥ .

بإحضاره إلى مصر فتسلمه صاحب حلب وأنزله إلى الميدان فهرب منه ليلاً وركب وراءه الأمير يلبغا الناصري ولكنه لم يدركه [١] .

ولعل السلطان المملوكي أراد الانتقام من أمراء بني دلغادر جميعاً لأنهم سببوا الكثير من المتاعب للدولة بعصيانهم الدائم وثوراتهم المتكررة وخروجهم عن الطاعة ولذلك قرر القضاء على كبيرهم الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر ولم يجد مفراً من أعمال الحيلة للقضاء على هذا الأمير فاستمال إليه أحد أمراء التركمان وهو الصارم إبراهيم بن همز التركماني وأمره بقتل خليل بن دلغادر ونجح الصارم إبراهيم في مهمته حيث قتل الأمير خليل بالقرب من مدينة مرعش سنة٧٨٨هـ / ١٣٨٦م [٢] وعقب مقتل الأمير خليل بن دلغادر أراد السلطان المملوكي استمالة أخيه سولي بن دلغادر فكتب إليه بنيابة أبلستين سنة ٧٩٢هـ /١٣٩٠م [٣] لكن سولي استمر في سياسته العدائية ضد المماليك فأمر السلطان المملوكي نواب الشام بالتوجه لقتال هذا الأمير وأعوانه فاتجهوا إليهم والتقوا بهم عند "طنون" ما بين مرعش وألبستان فاستطاع التركمان هزيمة الجيش المملوكي وقتلوا عدداً كبيراً منهم نائب حماه ونائب بهستي [٤] .

التحالف الدلغادري العثماني :

بعد انتصار الأمير سولي بن دلغادر على الجند المملوكي بدأ يتجه بأنظاره نحو العثمانيين ليكونوا سنداً له وعوناً ضد المماليك فسعي لإقامة علاقات طيبة

---

(١) المصدر السابق ص١٧٦ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ج٢ ص١٧٨ ، ابن تغري بردي : الدليل الشافي على المنهل الصافي ج١ ص٢٩٢ ، النجوم الزاهرة ج١١ ص ٣٠٩ .

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١٢ ص١٧ .

(٤) القرماني : أخبار الدول ج٣ ص١٠٠ .

بهم [١] ووطد هذه العلاقات عن طريق المصاهرة معهم فزوج ابنته الصغرى إلى السلطان العثماني محمد جلبي [٢] فشق ذلك على صاحب مصر الذى دس على سولي بك من يقتله كما قتل أخوه من قبل فقتله أحد التركمان سنة ٨٠٠هـ /١٣٩٧م أثناء نومه بالقرب من مرعش [٣] .

وتوجه ابن سولي إلى الملك الظاهر برقوق الذى قرر تعيينه مكان أبيه ، فلما عاد إلى بلاده وجد ابن عمه ناصر الدين محمد بن خليل بن دلغادر قد تولي الملك بدعم من العثمانيين فوقعت بينه وبين ابن عمه معركة كبيرة انتصر فيها ناصر الدين ووطد أقدامه فى حكم البلاد [٤] .

ونظراً لمناصرة المماليك لابن عمه ضده فإن ناصر الدين محمد بن خليل قرر التعاون مع العثمانيين ، وبدأ يوطد صلاته بهم فذهب إلى أنقره سنة ٨١٥هـ /١٤١٢م حيث التقي بالسلطان العثماني محمد جلبي لينال تأييده ودعمه [٥] واستمر ناصر الدين محمد فى إتباع سياسته العدائية تجاه المماليك وأخذ يناصر

---

(١) محمد أحمد دهمان : العراك بين المماليك والعثمانيين ص٢٥ .

(٢) د. أحمد فؤاد متولي : الفتح العثماني للشام ومصر ص٦٥ .

(٣) يذكر المقريزي أن الأمير سولي بن زين الدين قراجا بن دلغادر التركماني قتله رجل من أقاربه يقال له على بك وذلك أنه غاضبه وأخرجه من الأبلستين فنزل حلب ثم اتفق مع غلامه على القصير على قتل الأمير سولي بتدبير من السلطان المملوكي واحتالا عليه بأن ضرب على بك غلامه ضربا مبرحاً فمضي الغلام إلى سولي يشكو حاله فأواه عنده ووعده بأخذ ثأره فما زال عنده حتى سكر سولي ليلة وانفرد به الغلام وضربه بسكين فقتله ثم صاح فلما جاءه التركمان أوهمهم أن بعض أعدائه اغتاله ثم استغفلهم وهرب إلى مخدومه بحلب فلما علم السلطان بما حدث استدعي على بك وغلامه وأنعم عليهم بإمرتين لعلى بك إمره طبلخاناه ولعلي القصير بإمرة عشرة (انظر:المقريزي السلوك ج٥ ص٤١٧، ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ج١٢ ص١٦٦)

(٤) القرماني : اخبار الدول ج٣ ص١٠٠ .

(٥) خليل أدهم ألدم : تاريخ الدول الإسلامية ج٢ ص٤٣٠ .

الخارجيين والثائرين عليهم فحينما علم أن الأمير سيف الدين جانبك الصوفي [١] قد خرج عن طاعة السلطان المملوكي برسباي وتمرد عليه ، قام الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بمناصرته فى سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٥م ورفض تسليمه للمماليك فجرد له السلطان المملوكي حملة عسكرية فلما علم ناصر الدين باستعداد المماليك لقتاله أرسل ابنه الأمير فياض إلى القاهرة لاسترضاء السلطان الذى قام بإلقاء القبض على فياض بن ناصر الدين بن دلغادر وأمر بسجنه فى قلعة الجبل [٢] .

ولم علم ناصر الدين محمد بن دلغادر بما حدث لأبنه أراد مداراة السلطان وبخاصة حينما علم بخروج العساكر من حلب فبعث امرأته الحاجة خديجة خاتون بتقدمة للسلطان ومعها مفاتيح قيصرية التى أخذها من إبراهيم بن قرمان [٣] وأن يكون زوجها المذكور نائب السلطنة بها ، وأن يفرج عن ولدها فياض بن ناصر الدين المسجون بقلعة الجبل ، وكتب بذلك كتاباً وعد فيه بتقديم الكثير من الأموال[٤] وسارت خديجة خاتون إلى القاهرة ومعها كتاب الأمير ناصر الدين بن دلغار

---

(١) الأمير سيف الدين جانبك بن عبد الله الصوفي الظاهري من مماليك الظاهر برقوق وترقي فى أيام ابنه السلطان فرج بن برقوق إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف ثم ولاه الملك المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ /١٤١٢ - ١٤٢١م) رأس نوبة النوب ثم نقله بعد مدة إلى إمرة سلاح ثم سجن فى عهده إلى أن أطلق الأمير سيف الدين ططر (٨٢٤هـ / ١٤٢١م) سراحه بعد موت المؤيد شيخ وأنعم عليه بإمرة وتقدمة ألف ثم تقدم حتى صار أتابك العسكر بالديار المصرية وأوصاه الملك الظاهر سيف الدين ططر عند موته بتدبير ملك ولده الصالح ناصر الدين محمد (٨٢٤-٨٢٥هـ /١٤٢١-١٤٢٢ م) فلما مات الملك الظاهر ططر لم يحسن جانبك التدبير فنفر منه الجميع وقبض عليه وسجن بالإسكندرية ثم هرب إلى الشام ومنها إلى آسيا الصغرى (ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١٥ ص٢١١-٢١٢)

(٢) المقريزي : السلوك ج٥ ص٢٨٥ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المقريزي : السلوك ج٧ ص٢٨٩ .

والكثير من الهدايا فاستقبلت استقبالا طيباً من السلطان الذى قبل هداياها وأفرج عن أبنها فياض وخلع عليه وأمر بتوليته نيابة مرعش [١] وأرسل شادي بك أحد رؤوس النوب بمال وخيل إلى الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر وإلى ولده سليمان وكتب لهما بأن يسلما شادي بك جانبك الصوفي ليحمله إلى قلعة [٢] فلما وصلت زوجة الأمير ناصر الدين وأبنها فياض إلى زوجها ترك مداراة السلطان وأخذ المال من شادي بك ورفض إعطاءه الأمير جانبك الصوفي وأعلن عصيانه للسلطان المملوكي وتأييده للأمير جانبك الصوفي وزوجه أبنته الأميرة نفيسة [٣] .

لما علم السلطان بما حدث من ناصر الدين محمد بن دلغادر قرر إعداد حملة عسكرية لتأديب هذا الأمير الخارج عن الطاعة وعزم على السفر وجمع الأمراء وحلفهم على طاعته وعين سبعة أمراء للسفر وألفاً من المماليك السلطانية وألفاً من أجناد الحلقة فأخذوا فى الاستعداد للسفر والتحرك إلى الأبلستين [٤] هذا من ناحية ومن ناحية أخري فإن الأمير إبراهيم بن قرمان [٥] الذى كان يتخذ موقفاً

---

(١) المصدر السابق ص٢٩٠ .

(٢) السخاوي : التبر المسبوك فى ذيل السلوك ج٢ ص ٢٢٥ .

(٣)السخاوي : التبرالمسبول فى ذيل السلوك ج٢ ص٢٢٥ .

(٤) المقريزي : السلوك ج٧ ص٣٠٣ .

(٥) كانت إمارة بتوقرمان واحدة من الإمارات التى قامت على أنقاض الدولة السلجوقية لكنها كانت أكبرها وأشدها بأسا ولم يفقها فى ذلك إلا دولة العثمانيين وتعود نشأة هذه الإمارة إلى سنة ٦٢٥هـ /١٢٢٨م حين فتح السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ الأول مدينة أرمناك واسكن بها بعض القبائل التركمانية وعين عليهم أميراً منهم هو كريم الدين قرمان بن نوره صوفي الذى استمر أميراً حتى توفي سنة ٦٦٠هـ /١٢٦١ م بعد أن أستقل بإمارته التى قيل لها قرمان نسبة إليه وكانت قاعدتها لارنده ، وقد تولي من بعده أبناؤه ومن أبرزهم إبراهيم بن قرمان الذي اتخذ موقفا معادياً من العثمانيين وكتب إلى السلطان المملوكي الأشرف إينال يستعديه على السلطان العثماني محمد الفاتح ولم يكترث السلطان المملوكي بكلامه بسبب صلة الصداقة آنذاك بين

معادياً للعثمانيين وتحالف مع المماليك طلب من السلطان المملوكي بأن يملكه قيصرية وكانت بيد ناصر الدين بن دلغادر ووعد بدفع مبلغ كبير للسلطان الذى وافق من جانبه على مساعدته فى الاستيلاء على المدينة [١] .

قلق العثمانيون من الدعم العسكري المملوكي لقرمان ومن تعاظم نفوذ هذه الإمارة وكرد عثماني قام السلطان العثماني مراد الثاني بتأييد جانبك الصوفي المتمرد على السلطان المملوكي والمؤيد من قبل ناصر الدين محمد بن دلغادر [٢]

بنو دلغادر وسياسة المداهنة بين كل من المماليك والعثمانيين :

نتيجة لسياسة أمراء بني دلغادر توترت العلاقات المملوكية العثمانية ففى سنة ٨٤٠هـ /١٤٣٦ م استنجد الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بالسلطان العثماني مراد الثاني على إبراهيم بن قرمان الذى أخذ قيصرية بموافقة السلطان المملوكي فجهز مراد الثاني عسكراً لمحاصرة قيصرية وتسليمها إلى ابن دلغادر ، فلم علم السلطان المملوكي بذلك كتب إلى أمراء الطاعة من التركمان بمعاونة إبراهيم بن قرمان كما أمر نواب الشام بالتوجه لنجدته [٣] .

=العثمانيين والمماليك مما دفعه إلى الخروج على سلطنة المماليك سنة ٨٦٠هـ /١٤٥٦م فأرسل إليه السلطان حملة عسكرية لتأديبه اعتذر بعدها للسلطان وطلب العفو والرضا عنه فعفا السلطان عنه وظلت علاقات القرمانيين بالمماليك طيبة حتى سقطت الإمارة على يد العثمانيين سنة ٨٨٨هـ /١٤٨٣م (انظر : ابن البيبي : مختصر سلجوقنامه ص ٢٣٢ ، القرماني : إخبار الدول ج٢ ص٥١١ – ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ج١٦ ص ٢٢٨ . خليل أدهم ألدم : تاريخ الدول الإسلامية ج٢ ص٤١٦ ، زامباور : معجم الأنساب ص ٢٣٦ .

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١٥ ص٦١-٦٣ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ج٢ ص١٧٥ .

(٣) المقريزي : السلوك ج٧ ص٣٢٧ ، السخاوي : البتر المسبوك ج٢ ص ٥٤٧ .

وتوجهت القوات المملوكية من حلب إلى الأبلستين ففر من أمامهم ناصر الدين بن دلغادر فقام أمراء الحملة بنهب الأبلستين وحرقها [١] .

ولما وجد ابن دلغادر أنه لن يستطيع الصمود أمام المماليك قبض على جانبك الصوفي وأرسل إلى السلطان المملوكي يخبره بذلك [٢] .

والحقيقة أن الأوضاع لم تهد أو تستقر العلاقات بين الدولتين المملوكية والعثمانية إلا بعد مقتل جانبك الصوفي وهزيمة ناصر الدين محمد بن دلغادر والتزامه الطاعة للسلطان المملوكي هذا من ناحية ومن ناحية أخري عقد الصلح بين السلطان العثماني وإبراهيم بن قرمان فى نهاية سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م [٣] ففي سنة ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م وصل الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر إلى القاهرة لتوطيد العلاقات بينه وبين المماليك وقد بالغ السلطان المملوكي جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ / ١٤٣٨-١٤٥٣م) فى إستقباله حيث جهزت له الإقامات فى طول طريقه ، وسار كثير من أعيان الدولة إلى لقائه ومعهم الخيول والخلع له وللأعيان الذين بصحبته ، ولما قدم على السلطان جقمق أنعم عليه باستمراره على نيابة أبلستين [٤] ، ولزيادة الارتباط بينه وبين هذا الأمير طلب الزواج من أبنته الأميرة نفيسة التى كانت زوجاً لجانبك [٥] الصوفي وقدمت مع والدها لزيارة مصر فوافق الأمير ومهرها السلطان المملوكي ألف دينار بالإضافة إلى كثير من الهدايا [٦] وفى سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م تولي الأمير سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر خلفاً لأبيه وأعاد سليمان

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١٥ ص٦١ .

(٢)ابن حجر : أنباء الغمر بأبناء العمر ج٨ ص ٣٤٣ .

(٣) السخاوي : التبر المسبوك ج٢ ص٥٤٨ .

(٤) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١٥ ص٣٧٧-٣٧٨ .

(٥) السخاوي : التبر المسبوك ج٢ ص٥٦٧ .

(٦) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١٥ ص٣٧٨ .

سياسة التقرب إلى العثمانيين [١] ونتج عن هذه السياسة أن أرسل السلطان العثماني مراد الثاني (٨٢٤-٨٥٥هـ / ١٤٢١-١٤٥١م) إلى الأمير سليمان يطلب منه تزويج ابنته سيتي مكرمة خاتون لأبنه الأمير محمد [٢] ويري المؤرخ التركي خليل أدهم ألدم [٣] أن مراد الثاني حاول أن يحصل بهذه الزيجة على حليف من التركمانيين ضد بني قرمان وضد القراقونيلو [٤] .

---

(١) محمود شاكر : التاريخ الإسلامى ج٨ ص٥٦ .

(٢) د. أحمد فؤاد متولي : الفتح العثماني للشام ومصر ص٦٥ .

(٣) خليل أدهم ألدم : تاريخ الدول الإسلامية ج٢ ص٤٣١ .

(٤) ظهرت إمارة القراقونيلو (الشاة السوداء) فى الربع الأخير من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ويري البعض أن أسمهم يعود إلى لون أغنامهم بينما يري البعض الآخر أنه يعود إلى لون أعلامهم وكانت هذه الإمارة فى الأصل قبيلة من قبائل التركمان انحدرت من أماكنها القديمة فى بلاد التركستان واتجهت إلى بلاد أذربيجان بزعامة بيرام خواجه الذى عمل فى خدمة السلطان أويس الجلائري وبعد وفاته استولي بيرام خواجه على الأماكن الواقعة جنوبي بحيرة وان ودخلت الموصل وسنجار وارجيش تحت نفوذه واحتفظ بالحكم هناك حتى وفاته سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م ثم تولي من بعده ابنه قرا محمد تورمش الذى يعد المؤسس الحقيقي للإمارة القراقونيلية التى كان يدين أصحابها بالمذهب الشيعي ومن ابرز أمراء هذه الإمارة قرا يوسف الذى استطاع الاستيلاء على تبريز ومد سيطرته على كل أذربيجان ونجح فى ضم العراق إليه وأرسل ابنه محمد شاه نائباً عنه فى بغداد وأخذ يعمل على توسيع رقعة بلاده حتى توفي سنة ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م وبموته بدأت الخلافات تدب بين القراقيونليه من أجل النزاع على الحكم حتى تمكن الأمير حسن الطويل زعيم الآق قونيلو (الشاه البيضاء) من هزيمتهم والسيطرة على ممتلكاتهم سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٧م) .

(القرماني : اخبار الدول ج٣ ص٩١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١٤ ص١٦٣ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٩ ص٢٣٧ ، عباس إقبال : تاريخ إيران ٦٢٩ ، ستانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ص ٢٣٥)

ولما توفي الأمير سليمان سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤ م خلفه الأمير ملك أرسلان بك الذى اتبع سياسة المداهنة والملاينة بين كل من المماليك والعثمانيين ليحظى بصداقتهما معاً [١] فتقرب من السلطان العثماني محمد الفاتح وقوى علاقته به فأغضب بذلك السلطان المملوكي فكتب إليه يعتذر بأن ما يفعله مع السلطان العثماني محمد الفاتح إنما هو مصانعة له لكون بلاد متاخمة للعثمانيين ولا يمكنه مشاققته لكونه لا طاقة له به فتظاهر السلطان المملوكي بقبول اعتذاره واتجه إلى حسن الطويل زعيم الآق قونيلو (الشاه البيضاء) [٢] يأمره بالاستيلاء على

---

(١) د . سالم الرشيدى : محمد الفاتح ص ٣٠٤ .

(٢) إمارة الآق قونيلو (الشاه البيضاء) (٨٠٦ - ٩١٤هـ / ١٤٠٣ - ١٥٠٨م) ظهرت هذه الإمارة سنة ٨٠٦هـ /١٤٠٣م وهى عشيرة تركمانية كبيرة هاجرت من تركستان إلى أذربيجان ثم إلى نواحي ديار بكر ثم استقرت فى النهاية بالأراضي الواقعة بين آمد والموصل ، وكونوا إمارتهم فى أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، وكانوا يعتنقون المذهب المذهب السني ، ويعد قره أيلوك عثمان المؤسس الحقيقي لهذه الإمارة ، وكانت علاقة هذه الإمارة بكل من المماليك والعثمانيين غير طيبة وكانت الدولتان تعدان هذه الإمارة خطراً عليها سواء بسواء وقد ظهر العداء واضحاً بين أمراء الآق قونيلو وكل من المماليك والعثمانيين فى زمن زعيمهم حسن الطويل الذى أعلن الحرب على المماليك والعثمانيين معاً وأعد جيشين لمهاجمة المماليك والعثمانيين وبقي هو فى جيش ثالث استعداداً لمن يحتاج إلى المعونة والمساعدة ، وتحرك الجيش التركماني الذى بلغ زهاء مائة ألف مقاتل بقيادة الوزير عمر بك ويوسف ابن عم حسن الطويل لقتال العثمانيين وبرر قادة الجيش هجومهم على الدولة العثمانية بأنهم يريدون العبور إلى إمارة دلغادر ثم انقضوا على مدينة توقات ومنها اتجهوا إلى قونية والتقوا بالجيش العثماني الذى هزم التركمان شر هزيمة ولم يستطع حسن الطويل التصدي للعثمانيين حيث شغل بإخماد ثورة أخيه وأبنه ثم بتنظيم شئون الدولة فى فارس والعراق حتى توفي وانهارت دولته بوفاته (ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ص٣٠٦، ابن تغزي بردي : حوادث الدهور ج١ ص٣٠٢، د.سالم الرشيدى : محمد الفاتح ص٣١١ ، د.محمد أنيس : الدولة العثمانية ص٥٧) .

خرتبرت[١] وأوعز فى الوقت نفسه إلى ملك أرسلان أن يقاوم حسن الطويل ، ويبدوا أن السلطان المملوكي كان يسعي للتخلص من هذين الأميرين التركمانيين الذين لا يثبتان على الولاء لأحد فأراد أن يضرب أحدهما بالآخر [٢] ولكن الذى حدث أن ملك أرسلان سلم خرتبرت بغير قتال للأمير حسن الطويل لأنه لم تكن لديه القوة الكافية لمقاتلته ، أو لعله تعمد تسليم المدينة نكاية فى السلطان المملوكي [٣] الذى شق ذلك على نفسه فلما أتي الأمير ملك أرسلان إلى مصر ، وبينما كان يؤدي صلاة الجمعة فى المسجد سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م [٤] وثب عليه فدائي من طائفة الإسماعيلية وضربه بسكين حاد فقتله ، وقد حامت الظنون والشبهات فى حادث هذا الاغتيال حول السلطان المملوكي خشقدم (٨٦٥ – ٨٧٢هـ /١٤٦١ – ١٤٦٧م) الذى ظن بإنه أرسل الفداوى لهذا الأمر بتآمر من شاه بوداق شقيق أرسلان الذى كان يؤيده السلطان المملوكي لاعتقاده بأن أرسلان قد سلم خربوت إلى الأمير حسن الطويل [٥] .

التنافس المملوكي العثماني على النفوذ فى إمارة بني دلغادر :

بدأ التنافس بين المماليك والعثمانيين على النفوذ يظهر واضحاً فى زمن الأمير شاه بوداق الذى عين نائباً على الأبلستين من قبل السلطان المملوكي خشقدم وقد لقي شاه بوداق معارضة من أخيه شاه سوار الذى ساءه أن يقتل أخوه عدراً بتآمر من شاه بوداق فاستعان بالسلطان العثماني محمد الفاتح لكي يتوسط لدى

---

(١) خرتبرت : حصن يقع فى أقصي ديار بكر بينه وبين ملطية مسيرة يومين وبينهما نهر الفرات (البغدادي : مراصد الإطلاع ج١ ص٤٥٧) .

(٢) د. سالم الرشيدي : محمد الفاتح ص٣٠٥ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) ابن شاهين الظاهري : نيل الأمل فى نيل الدول ج٦ ص٢٣٢ .

(٥) القرماني : أخبار الدول ج٣ ص١٠١ .

السلطان المملوكي خشقدم فى تعيينه نائباً خلفا لأخيه ملك أرسلان فأرسل السلطان محمد الفاتح رسالة إلى السلطان خشقدم يطلب منه فيها النيابة لشاه سوار ، ورفض السلطان المملوكي الاستجابة لطلب السلطان العثماني الذى بادر بإرسال قوة عسكرية لمساندة شاه سوار الذى نجح فى الاستيلاء على ألبستان وفر شاه بوداق من أمامه إلى مرعش [١] .

ولم يكن السلطان المملوكي ليقبل بالتدخل العثماني فى شئون إمارة بني دلغادر فامر فى سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م بإعداد حملة عسكرية لتأديب شاه سوار والقضاء على تمرده ولكن أمر هذه الحملة لم ينفذ ويبدو أن السبب فى عدم خروجها هو ثورة أهل ألبستان على سوار ورفضهم لإمرته عليهم مما اضطره إلى الفرار من المدينة حيث أمر السلطان المملوكي بتعيين عمه الأمير رستم بدلاً منه ومن أخيه شاه بوداق الذى لم يستطع التصدي لشاه سوار [٢] .

لكن شاه سوار عاد مرة أخري إلى ألبستان واصطدم بعمه رستم ونشب القتال بينهما ولعل رستم قد هزم فى القتال مع شاه سوار حيث أرسل السلطان إلى نائب حلب ليقوم بعزل رستم وإعادة شاه بوداق على الحكم [٣] .

ولم تفلح محاولات السلطان المملوكي خشقدم فى التغلب على شاه سوار الذى يجد مساندة ومؤازرة من السلطان العثماني ومما ساعد على ازدياد نفوذه وفاة السلطان المملوكي خشقدم فى سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م واضطراب الأحوال السياسية فى مصر عقب وفاته حيث بويع أتابك العسكر أبو النصر سيف الدين بلباى المؤيدي وتولي أنابكية العسكر الأمير تمربغا الظاهري [٤] الذى قام بخلع

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ج٢ ص٤٣٦ ، السخاوي : الضوء اللامع ج٣ ص٢٧٤ .

(٢) ابن شاهين الظاهري : نيل الأمل فى ذيل الدول ج٦ ص٢٤٣ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ج٢ ص٤٤٩ .

(٤)ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ج٢ ص٤٥٨-٤٥٩ .

السلطان بلباي بعد شهرين وتولي مكانه ولقب بالملك الظاهر أبي سعيد [١] لكن ملكه لم يدم بدور أكثر من شهرين إذا لم يستطع إرضاء المماليك الخشقدمية وقائدهم خاير بك الذى قبض عليه ليلاً وأعلن نفسه سلطاناً على البلاد [٢] لكن الأتابكي قايتباي أسرع إلى القلعة واستطاع السيطرة على الأمور وقبض على خاير بك الذى لم يمكث فى السلطنة سوى ليلة واحدة حتى أطلق العامة عليه "سلطان ليلة "[٣] وفى الصباح بايع الخليفة والقضاة الأربعة قايتباى بالسلطنة وتلقب بالسلطان الملك الأشرف قايتباي [٤] .

وقد استطاع قايتباي إن يعيد للدولة هيبتها ومكانتها فى الداخل والخارج وأن يلقن الخارجين عليها دروساً قاسية فقد واجه قايتباي بمجرد جلوسه على عرش مصر فتنة شاه سوار الذى كان يتمتع بتأييد العثمانيين والذى أعلن استقلاله وشرع يهاجم أطراف الدولة المملوكية ، والحقيقة أن قايتباي رفض إن يهادن هذا الرجل ، وبادر بإرسال عدة حملات عسكرية ضده ، ونجحت الحملة الأخيرة التى أرسلها قايتباي سنة ٨٧٦هـ / ١٤٧١م فى إنزال الهزيمة بشاه سوار والقبض عليه وإرساله إلى القاهرة حيث شنق على باب زويلة[٥] وبعد مقتل شاه سوار أمر السلطان المملوكي أن يتولى شئون الإمارة أخوه شاه بوادق[٦]الذي وجد منافسة من

---

(١)المصدر السابق ص٤٦٧ .

(٢)المصدر السابق ص٤٧٤ .

(٣)المصدر السابق ج٣ ص٧ .

(٤)المصدر السابق ص٤ .

(٥) المصدر السابق ص٦٩ ، ٧٨ .

(٦)بن شاهين الظاهري : نيل الأمل فى ذيل الدول ج٧ ص٤٣-٤٤ .

الأمير علاء الدولة[١] بن سليمان بن دلغادر الذى دعمه السلطان العثماني وسانده كي يحكم الإمارة الدلغادرية ، ويبدوا أن شاه بوادق أراد التعاون هو الآخر مع العثمانيين حتى يدعم نفوذه وسلطانه ضد علاء الدولة الذى تمكن من التغلب عليه واستولي على الأمور فى داخل الإمارة ، لكنه لم يفلح فى ذلك حيث نجح المماليك فى إلقاء القبض عليه سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠ م حيث قيد فى الحديد وأرسل إلى القاهرة وسجن بالقلعة[٢] .

أما علاء الدولة فقد طلب من الأمير أزبك الصغير الخزندار الظاهري الذى فوضت إليه أمور بلاد الشام أن يتوسط بينه وبين السلطان قايتباي فى طلب الصلح على أن يسلم مفاتيح عدة قلاع فى شمال بلاد الشام فوافق قايتباي على طلبه وعفا عنه وخلع عليه وأعترف به حاكماً على الإمارة [٣] .

إلا أن علاء الدولة سرعان ما أنقلب على المماليك وعاد إلى التعاون مع العثمانيين وهاجم ملطية التابعة للدولة المملوكية سنة ٨٨٨هـ /١٤٨٣م [٤] .

والحقيقة أن هذا العمل الذى قام به علاء الدولة لم يكن بمثابة خروج عن طاعة السلطان المملوكي فحسب ، بل كان بمثابة تصدع لأهم الدعائم الدفاعية المملوكية فى جنوب شرق الأناضول ، لذلك وحرصاً من قايتباي على عدم تكرار قضية شاه سوار شقيق علاء الدولة أرسل فى المحرم سنة ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م حملة

---

(١)هو الأمير علاء الدولة بن سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر وكان يلقب فى بعض المصادر تحت مسمي "على دولات" (انظر : ابن الحمصي : حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران ج١ ص٢٩٤ ، ابن طولون : مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان ج١ ص٧-٣٢)

(٢)ابن طولون : مفاكهة الخلان ج١ ص٣٠ .

(٣) ابن شاهين الظاهري : نيل الأمل فى ذيل الدول ج٧ ص٢٩٠ .

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور ج٢ ص٢٠٢ .

عسكرية لتأديب حاكم دلغادر كان على رأسها أمير السلاح [١] تمراز الشمسى الأشرفي ابن أخت السلطان قايتباي وبصحبته أزبك الصغير خازندار [٢] الظاهري أحد مقدمي الألوف وعدد من الأمراء وما يزيد على الألف من مماليك السلطان[٣]

وقد بدأ أول صدام مسلح بين الطرفين واشتد القتال وقتل نائب حلب ونائب صفد وأسر نائب طرابلس ، إلا أن تمراز الشمسى نجح فى أن ينزل الهزيمة بقوات علاء الدولة وأعوانه من الجند العثماني وقتل عدداً كبيراً منهم وأسر عدداً كثيراً آخر [٤] ومع ذلك فإن سلطنة المماليك استمرت تعاني الكثير من المتاعب من جانب إمارة دلغادر ،لأن علاء الدولة كان واقعاً تحت تأثير العثمانيين وتحريضهم ، وإن كان تفوق الجيوش المملوكية على الجيوش العثمانية فى ذلك الدور قد جعل علاء الدولة يلتزم جانب الحرص فى معاملاته مع دولة المماليك ويتودد إليها [٥] فى الفترة التى حدثت فيها صدامات بينهم وبين العثمانيين (٨٩٠-٨٩٦هـ/١٤٨٥-١٤٩٢م)[٦] فانتهج علاء الدولة سياسة تقوم على التقرب والتودد بهدف إعادة

---

(١)أمير السلاح لقب لمن يتولى أمر سلاح السلطان (القلقشندي : صبح الأعشى ج٥ ص٤٢٨)

(٢) الخازندار هو الذى يتولى خزانة السلطان من حيث النقد والقماش وغيرها (المصدر السابق ج٤ ص٢١)

(٣)ابن طولون : مفاكهة الخلان ج١ ص٥٤-٥٥ .

(٤)ابن الحمصي : حوادث الزمان ج١ ص٢٩٤ .

(٥) د . سعيد عاشور : مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك ص٣٨٣ .

(٦)عقب انتصار الجيش المملوكي على علاء الدولة وأعوانه من الجند العثماني ، اضطر العثمانيون إلى معاودة القتال فى سنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م مع المماليك فأنتصر الجند المملوكي انتصاراً ساحقاً وعقب هذه المعركة سعى السلطان قايتباى إلى الصلح مع السلطان العثماني بايزيد فأرسل له هدية بنحو عشرة آلاف دينار كما أرسل الخليفة العباسي إليه تقليداً بتوليته كل ما تحت يده من بلاد ومع التقليد رسالة لإزالة هذه الفتنة وعودة الود والصلح بينه وبين السلطان المملوكي، وفى العام نفسه عاد المبعوث المصري جاني بك حبيب من عند السلطان العثماني

العلاقات السياسية إلى مجراها الطبيعي فأقدم على تزويج ابنته من ابن القائد المملوكي المنتصر أزبك الصغير خازندار الظاهري [١] ولم يكتف بذلك ؛ بل أطلق سراح جماعة من المماليك المأسورين لديه ، وفى سنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م حينما وصل الجيش المملوكي إلى حلب توطئه للهجوم على كيليكيا أرسل علاء الدولة يسأل الصلح مع السلطان المملوكي ، وعلى الرغم من أن طلبه رفض إلا أنه أبي الانضمام فى العامين التاليين (٨٩١ – ٨٩٢هـ /١٤٨٦ -١٤٨٧م) إلى الجيش العثماني فى حملته المتوجهة لقتال المماليك ورفض الدخول فى مواجهة عسكرية مباشرة ضدهم رغم استمرار تحالفه مع العثمانيين فى الظاهر [٢] .

ومما لاشك فيه أن مواقف علاء الدولة تجاه دولة المماليك قد أثارت شكوك السلطان العثماني بايزيد الثاني تجاه علاء الدولة فقرر العمل على عزله عن الإمارة وتقديم العون لأخيه شاه بوداق المنافس له على الحكم والذى هرب من بين أيدي المماليك سنة ٨٩٢هـ /١٤٨٧م [٣] وتحرك شاه بوداق إلى البستان سنة

=وأخبر المماليك بأن السلطان العثماني يرفض الصلح ويتوعد الجيش المصري فشرع المماليك يستعدون لجولة جديدة مع العثمانيين وفى العام التالي وقع الصدام وهزم العثمانيين هزيمة كبيرة وآسر قائد الجيش العثماني أحمد بك هرسك ولم يكن السلطان العثماني ليقبل بهذه الهزيمة فالتقي جيشه مع الجيش المملوكي سنة ٨٩٣هـ /١٤٨٧م ودارت الدائرة على الجيش العثماني وغنم المصريون منهم أشياء كثيرة من خيول وسلاح وغير ذلك واستمرت المعارك المتقطعة بين الجانبين حتى استقر الرأي بعد مفاوضات متصلة على عقد الصلح بين السلطان العثماني بايزيد والسلطان المملوكي قايتباي وتم الصلح وتبادل الجانبان الهدايا والمجاملات الودية (ابن إياس : بدائع الزهور ج٣ ص٢١٠ – ٢٢١، ٢٥٦ تاريخ البصروى ١٤٧ – ١٤٨ – محمد أحمد دهمان: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك ص ١٦٦)

(١)غيثاء أحمد نافع : العلاقات العثمانية المملوكية ص١٣٥ .

(٢)غيثاء أحمد نافع : العلاقات العثمانية المملوكية ص١٣٥ .

(٣) ابن طولون : مفاكهة الخلان ج١ ص٦٨ .

٨٩٦هـ/١٤٩١م ومعه مدد من الجند العثماني وهاجم أخاه علاء الدولة وقبض على اثنين من أبنائه [١] وحينما وصل الجند إلى السلطان المملوكي أمر بتجهيز حملة عسكرية لمساندة علاء الدولة وجعل على رأسها الأمير قانصوه الشامي [٢] ، ولتوثيق أواصر التعاون مع أمير دلغادر أرسل خلعة إلى عبد الرازق شقيق علاء الدولة وأمر بتعيينه فى أتابكية حماه عوضاً عن ابن طرغل الذى نقل إلى نيابة طرسوس [٣] إلا أن الأمير علاء الدولة تمكن من هزيمة شاق بوداق وأعوانه العثمانيين [٤] .

ولم يكد علاء الدولة يفرغ من قتال أخيه شاه بوداق حتى تعرض للغزو من الشاه إسماعيل الصفوى الذى كان يسعى إلي نشر المذهب الشيعي فى الأناضول وتحرك بقواته فى جمادى الثانية سنة ٩٣١هـ / أكتوبر ١٥٠٧م لمهاجمة ألبستان ومرعش واستطاع أن ينزل بعض الهزائم بعلاء الدولة [٥] .

وعندما سار سليم الأول على رأس جيوشه سنة ٩٢٠هـ / ١٥١٤م لمحاربة الشاه إسماعيل الصفوى بعث رسولاً من قبله إلى علاء الدولة بن دلغادر يطلب منه المشاركة فى حرب الصفويين اعتذر علاء الدولة متعللا بكبر سنه وأنه لا يستطيع القيام بإى مجهود لكونه تحت الحماية المملوكية ، ولم يكتف علاء الدولة بذلك ؛ بل إنه أغار على القوافل العثمانية التى كانت ترسل الإمدادات للجيش العثماني [٦] .

---

(١)ابن إياس: بدائع الزهور ج٣ ص٢٦٤ .

(٢) السخاوي : الضوء اللامع ج٦ ص١٩٩ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٣ ص٢٦٤ .

(٤)ابن طولون : مفاكهة الخلان ج١ ص١٠٧ .

(٥)د . أحمد فؤاد متولي : الفتح العثماني للشام ومصر ص٧٤ .

(٦) ابن الحمصى : حوادث الزمان ج٣ ص٢٧٢ .

فلما عاد السلطان سليم من حربه مع شاه إيران إسماعيل الصفوى أمر سنان باشا الصدر الأعظم بمحاربة علاء الدولة والقضاء عليه ، فتحرك الصدر الأعظم فى غرة جمادى الأولي ٩٢١هـ / ١٥١٥م على رأس جيش قوامه عشرة آلاف جندي والتقي مع جيش علاء الدولة فى معركة كبيرة قتل فيها علاء الدولة وأربعة من أولاده وثلاثين من أمرائه وعدداً كبيراً من جنده [١] .

ومنح السلطان العثماني حكم إمارة دلغادر لعلي بن شاه سوار ، وبعد مقتل علاء الدولة لم يعد للمماليك نفوذ فى الإمارة التى صارت تابعة للعثمانيين ، واشترك أمير دلغادر مع العثمانيين فى معاركهم ضد المماليك أثناء فتح الشام فى ٢٥ من رجب سنة ٩٢٢هـ /٢٤ من أغسطس سنة ١٥١٦م حيث هزم المماليك فى موقعة مرج دابق [٢]

(١) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ج٤ ص٤٣٥،٤٥٨ .

(٢) المصدر السابق ج٥ ص٦٠،٦٤،٦٨ .

الخاتمة:

دار هذا البحث حول أمراء بني دلغادر وعلاقتهم بالدولة المملوكية في الفترة من ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م حتى سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م ويبين البحث أن إمارة بني دلغادر من الإمارات التركمانية التى قامت فى جنوب آسيا الصغري ، وكان من المفروض أن تكون هذه الإمارة تابعة لسلطنة المماليك فى مصر والشام ، لكن أمراء هذه الإمارة لم يستمرو على ولائهم للمماليك وإنما عملوا على استغلال الظروف المناسبة للخروج على سلطنة المماليك ، ومهاجمة أراضيها ، بل والتجرأ على السلطان المملوكي أحياناً مما سبب لدولة المماليك كثيراً من المتاعب على حدودها الشمالية .

ويبين البحث أن أول من أقام حكومة من أسرة دلغادر هو الأمير زين الدين قراجا بن دلغادر الذى تمكن من تقوية نفسه فى منطقة ألبستان ثم أعلن استقلاله بإمارته سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م وأنه نجح فى اكتساب ثقة السلطان المملوكي الذى أعترف به كنائب على ألبستان من قبلها .

وأوضح البحث أن السبب فى سوء العلاقات بين الإمارة الدلغادرية والسلطنة المملوكية زمن قراجا بن دلغادر هو سياسة نواب الشام وحلب الذين كانوا كثيراً ما يدخلون فى نزاع وخلاف مع أمير بني دلغادر .

ويبين البحث أن المماليك استطاعوا التخلص من زين الدين قراجا المؤسس الحقيقي لإمارة بني دلغادر بعد أن سبب الكثير من المتاعب للدولة المملوكية وتم إعدامه فى القاهرة ليكون عبرة لغيره من حكام الإمارات التركمانية إذا ما فكر أحدهم فى الخروج عن طاعة السلطان المملوكي .

وأوضح البحث أن سلاطين المماليك كانوا يتصدون لأمراء بني دلغادر الذين سببوا الكثير من المتاعب للدولة بعصيانهم الدائم وثوراتهم المتكررة ويقومون بقتلهم كما قتل مؤسسي الإمارة الأول قراجا بن دلغادر فقد استمال السلطان

المملوكي أحد أمراء التركمان وهو الصارم إبراهيم بن همز التركماني وأمره بقتل خليل بن دلغادر الذى تولي عقب مقتل أبيه قراجا ونجح الصارم إبراهيم فى مهمته وقتل الأمير خليل بالقرب من مدينة مرعش كما نجح المماليك أيضاً فى قتل الأمير سولي بن دلغادر الذى تولي بعد مقتل الأمير خليل حيث قام أحد التركمان بقتله أثناء نومه بالقرب من مرعش .

ويبين البحث أن السياسة التى اتبعها المماليك ضد أمراء بني دلغادر جعلت الأمير ناصر الدين محمد بن خليل يتخذ موقفاً عدائياً من المماليك ويتحالف مع الخارجين عليها ويدعم مواقفه بتأييد من السلطان العثماني .

ويبين البحث أن أمراء بني دلغادر قد اتبعوا سياسة المداهنة والملاينة بين كل من المماليك والعثمانيين حتى يحافظوا على إمارتهم من نفوذ الدولتين حيث سعت كل منهما إلى تعيين أمير موال لها فى الإمارة .

وأوضح البحث أن علاء الدولة بن سليمان بن دلغادر قد استطاع اكتساب ثقة السلطان المملوكي ورفض التعاون مع السلطان العثماني سليم الأول الذى أمر الصدر الأعظم بالقضاء عليه لتسقط إمارة بني دلغادر فى أيدي العثمانيين ويتعاون أميرها معهم عند الفتح العثماني للشام ومصر .

المصادر والمراجع :

- أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ للقرماني (أحمد بن يوسف ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م) تحقيق د. فهي سعد - د. أحمد حطيط ط أ ١٤١٢هـ /١٩٩٢م - عالم الكتب - بيروت .

- إنباء الغمر بأبناء العمر فى التاريخ لابن حجر العسقلاني (أحمد بن على ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م) مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد - الدكن .ونسخة أخري تحقيق د . حسن حبشي - القاهرة - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٩ ، ١٩٧١ ١٩٧٢م

- بدائع الزهور فى وقائع الدهور لأبن اياس (محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ /١٥٢٤م) تحقيق محمد مصطفى - الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) .

-البداية والنهاية فى التاريخ لأبن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) طبعة دار الفكر العربي - د.ت .

- بلدان الخلافة الشرقية - كي ليسترنج - ترجمة بشير فرنسيس - كوركيس عواد - ط٢/١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - مؤسسة الرسالة - بيروت .

- تاريخ ابن الوردي (زين الدين مظفر بن عمر ت ٧٤٩هـ /١٣٤٨م) ج١ ،٢ منشورات المطبعة الحيدرية بالنجف ط٢ ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م

- التاريخ الإسلامي - محمود شاكر - ج٨ ط٣ ١٤١١هـ / ١٩٩١م بيروت .

- تاريخ إيران بعد الإسلام - عباس إقبال - ترجمة د.محمد علاء الدين منصور - مراجعة د.السباعي محمد السباعي - دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٤١٠هـ /١٩٩٠م .

- تاريخ البصروي (الشيخ علاء الدين على بن يوسف ت ٩٠٥هـ / ١٤٩٩ - ١٥٠٠م) تحقيق ودراسة أكرم حسن - الطبعة الأولي ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م - دار المأمون للتراث - بيروت .

- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة - خليل أدهم ألدم - ترجمة د/أحمد السعيد سليمان - دار المعارف بمصر - د . ت .

- تاريخ المماليك فى مصر وبلاد الشام د/محمد سهيل طقوش- دار النفائس ط أ- بيروت ١٩٧٧ م .

- تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي- د/خاشع المعاضيدى وآخرون - بغداد ط٢ / ١٩٨٦م .

- التبر المسبوك فى ذيل السلوك للسخاوي (محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ /١٤٩٦م) مراجعة د. سعيد عبد الفتاح عاشور - تحقيق د.لبيبة إبراهيم مصطفى - نجوى كامل - مطبعة دار الكتب المصرية ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

- حوادث الدهور فى مدي الأيام والشهور لأبن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م) تحقيق د. محمد كمال الدين عز الدين ط أ ١٤١٠ هـ/١٩٩٠عالم الكتب .

- حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران لابن الحمصي (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر) (٨٤١- ٩٣٤هـ) تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري - ط أ المكتبة العصرية - بيروت ١٤١٩هـ /١٩٩٩م

-دائرة المعارف الإسلامية - ترجمة أحمد الشناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس وهى من إعداد مجموعة من المستشرقين - طبعة دار الشعب - د.ت .

-دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدي - بيروت - د.ت .

- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لأبن حجر العسقلاني (أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ /١٤٤٩م) بيروت - دار الجبل - د .ت .

- الدليل الشافي على المنهل الصافي لأبن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م) تحقيق فهيم محمد شلتوت - ط٢ مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٨٨م .

- دولة بني قلاوون فى مصر - د.جمال الدين سرور - دار الفكر العربي بالقاهرة د .ت .

- الدولة العثمانية والشرق العربي - د/ محمد أنيس - مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس ١٩٧٧م .

- السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ /١٤٤١م) تحقيق محمد عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - ط أ /١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد ت ١٠٨٩هـ) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - محمود الأرناؤوط - ط أ دار ابن كثير دمشق ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م

-صبح الأعشي فى صناعة الانشا للقلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٢٢هـ - ١٩١٤م .

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (محمد بن عبد الرحمن ت٩٠٣ هـ / ١٤٩٧م) منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - د .ت

- طبقات سلاطين الإسلام - ستانلي لين بول - ترجمة مكي طاهر الكعبي ط أ بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

- العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك - محمد أحمد دهمان - ط أ - دمشق ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

- العلاقات العثمانية المملوكية ٨٦٨ - ٩٢٣هـ/ ١٤٦٤-١٥١٧م - غيثاء أحمد نافع مراجعة د. عمر عبد السلام تدمري - المكتبة العصرية - بيروت ط أ /١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م .

- لفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له - د/ أحمد فؤاد متولي - دار النهضة العربية بالقاهرة - د .ت .

- محمد الفاتح - د/ سالم الرشيدى - مكتبة الإرشاد بجدة - ط٣ /١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

- مختصر سلجوقنامه لأبن البيبى (حسين بن محمد بن على الجعفري) ترجمة د/محمد السعيد جمال الدين - الدوحة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

- المختصر فى أخبار البشر لأبي الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي ٦٧٢-٧٣٢هـ / ١٢٧٣ - ١٣٣١م) تقديم د/حسين مؤنس تحقيق د/ محمد زينهم محمد عزب - يحي سيد حسين - ج ٤ ط أ دار المعارف د.ت .

- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لأبن عبد الحق (صفي الدين عبد المؤمن ت ٧٣٩هـ) تحقيق على البجاوي - الطبعة الأولي - دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

- مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك - دار النهضة العربية - بيروت - د.ت د/ سعيد عبد الفتاح عاشور .

- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامي - زامبارو ترجمة د/زكي محمد حسن وآخرون - دار الرائد العربي - بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

- معجم البلدان لياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الحموى ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) دار صادر - بيروت - د.ت .

- مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان لأبن طولون الصالحي (شمس الدين محمد بن علي بن أحمد ت ٩٥٣هـ) وضع حواشيه خليل المنصور - منشورات محمد على بيضون دار الكتب العلمية - بيروت - ط أ /١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ونسخه أخرى طبعة القاهرة ١٩٦٢م .

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لأبن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ٨٧٤هـ /١٤٧٠م) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر - ١٣٩٢ه / ١٩٧٢م .

- نيل الأمل فى ذيل الدول لأبن شاهين الظاهري (زين الدين عبد الباسط بن خليل ت ٩٢٠هـ) تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى - المكتبة العصرية - صيدا بيروت ط أ / ٢٠٠٢م .